فى مجلات الشرق

من سورية

الدنيا العدد ٧٨ : ٣ (سنة ١٩٤٨)

هذا عدد خاص بالعراق تصدره مجلة سورية لتنقل إلى قرائها طائفة من المعارف الحديثة عن العراق الحديث توثيقا لما بين أبناء العروبة من أواصر الاخاء والودة . والحق أن الأمة العربية فى طور نهضتها الاتحادية الحديثة ، فى أشد الحاجة إلى أن يتعرف أبناؤها بعضهم إلى بعض وأن يعرف بعضهم عن بعض ما يحقق معنى الأخوة التى رسخت جذورها منذ أبعد الآماد واتحدت أهدافها على الآباد . وما أحرى مثل هذا العدد الخاص من مجلة «الدنيا» السورية — من حيث هو فكرة — أن يكون مثالا لأعداد أخرى من مجلات عدة فى مختلف بلاد العربية ، تهدف إلى توثيق الأواصر بين أبناء العروبة فى مختلف أقطارهم !

إن القارئ العربى فى مصر أو فى سورية أو فى العراق . أو فى غيرها من بلاد العرب ، لا يكاد يعرف من شؤون البلاد العربية الأخرى إلا أسماء جغرافية وأعلاما سياسية إلى طائفة من الذكريات التاريخية العريقة فى القدم لا تكاد توقظ فيه الوجدان الوطنى الذى يدفعه إلى الأمس والعمل . ولكن وقعت واقعة اليمن منذ قريب ، فاستبدل فيه إمام بامام ونظام بنظام ، وحمل البرق أنباء ذلك الانقلاب إلى بلاد العرب وبلاد العجم ، فأكاد أقسم غير حانث أن أكثرية القراء الذين طالعتهم هذه الأنباء اليمنية على غفلة ، لم يجدوا عندهم من مقدمات العلم عن تلك البلاد العربية ما يربطون به بين ماضى تلك البلاد وحاضرها ويعينهم على فهم التطورات السياسية والاجتماعية فيها ومداها وما يمكن أن تؤدى إليه ؟ إذ كل ما يعرف القارئ العربى عن اليمن هو حدها الجغرافى على التقريب إلى طائفة من المعارف الأسطورية عن مملكة بلقيس ، وسد مأرب ، وسيف بن ذى يزن ، أو سيف الاسلام عبد الله ، وزنابيل البن اليمنى والمندوب «المستمع» فى جامعة الدول العربية فك الله أسره وأحسن عاقبته ...! ذلك كل ما هنالك ، أما نظام تلك البلاد السياسى ، وقانونها الأساسى ، وحالة أهلها الاجتماعية ، وصلة حكامها بالمحكومين ، وعلاقتها بمن يجاورها من الانجليز فى عدن ، ومن السلاطين فى لحج وحضرموت ، ومن السعوديين فى المملكة العربية — فتلك مجاهل لا يكاد ينفذ إليها قارئ من كل ألف قارئ فى هذه البلاد العربية ...

وماذا كان يعرف القارئ العربى عن فلسطين قبل أن يخرق صماخ أذنيه دوى الانفجارات الصهيونية فى العهد الأخير ؟ وأين كانت فى خياله من مصر ومن شرق الأردن ومن سوريا ومن لبنان ومن مطامع الصهيونيين ؟ أكاد أقسم كذلك أن قارئا

واحداً من كل ألف قارئ — ولعلى مبالغ فى حسن الظن — هو الذى كان يعرف من أحوال ذلك القطر العربى ما يتيح له أن يتتبع أحداثه السياسية بشئ من الفهم . ولو كان جمهور قراء العرب فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ يعلمون عن فلسطين ما يعلم اليوم عنها كل صبى وصبية ، ما جرؤ بلفور على أن يلقى تصريحه ذاك الذى حكم به بالموت على عشرات الآلاف أو مئات الآلاف من أصحاب هذه البلاد ومن الوافدين عليها ، ولما تطورت الحوادث فى تلك البلاد المقدسة هذا التطور الذى ينذر البلاد العربية كلها بشر مستطير !

إن القراء العرب فى حاجة إلى كثير من المعارف عن بلادهم وبلاد إخوتهم وأبناء عمومتهم فى المشرق والمغرب ؛ وليس يرجى هذا العلم — أول ما يرجى — إلا من الصحافة ؛ فهذا العدد الخاص الذى أصدرته مجلة «الدنيا» السورية للتعريف بالعراق هو اتجاه مستقيم نحو غاية موفقة تلائم الهدف الذى يجاهد له العرب اليوم متحدين قلبا وفكراً وعزيمة .

ويعنينى بصفة خاصة فى هذا العدد أن أنوه بالبحوث القيمة عن «الأدب والأدباء فى العراق» لمعالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى ، و «النهضة الأدبية فى العراق» للأستاذ محمد بهجت الأثرى و «الصحافة العراقية اليوم» للأستاذ سلمان الصفوانى .

من العراق

البيان العددان ٤٢ ، ٤٣ : ٢ (مارس ١٩٤٨)

يوالى الأستاذ أحمد مجمد عيسى مباحثه عن «الدراسة فى النجف» . وفى هذا العدد ينشر الحلقة الخامسة من هذه المباحث ، فيتحدث فيها عن المكتبات العامة والخاصة فى النجف ، وعن الجمعيات الثقافية . ويعنينا بصفة خاصة إحصاؤه عن المكتبات البائدة والمكتبات الحاضرة ، فهو يحصى من النوع الأول خمس عشر مكتبة ، كانت فيما يصف تضم أشتاتا من الكتب العربية بين مطبوع ومخطوط ، بعضها نادر الوجود أو معدوم النظير ؛ ثم تفرقت أيدى سبا بعد وفاة أصحابها أو جامعيها ، على أن العهد لم يطل بأكثرها بعد هذا التفرق ؛ فمن الممكن إنقاذ كثير منها بأيدى مشتريه أو حائزيه قبل أن تأتى عليه الأيام فنفقد جزءا مهما من تراثنا العلمى يضاف إلى ما فقدنا فى عصور الجهل المتطاولة من نتاج قرائح الذاهبين من علمائنا ... ثم يحصى من المكتبات الحاضرة — التى لم تزل فى حوزة أصحابها — ثمانى مكتبات عظيمة تضم مخطوطات ومطبوعات شتى . وما أشك أنها — بعد قليل أو كثير من الزمن — ستصير إلى ما صارت إليه مكتبات النوع الأول فتبيد وتتفرق بأيدى من يعرف قيمتها ومن لا يعرف ؛ وإن من الجناية على الثقافة العربية أن نتربص بها هذا المصير جامدين لا نحاول جهداً للابقاء عليها . وما أظن مالكيها الفضلاء يكرهون أن يتعاونوا مع هيئة علمية محترمة على استنساخ النادر من مخطوطاتها أو تصويره أو نقله إلى مكتبة من المكتبات الرسمية العامة حيث يسهل حفظه ويعم النفع به .

لقد طالما غفلنا عن واجب الاحتفاظ بتراثنا العلمي حتى خرج من أيدينا كثير منه إلى أيدى الأجانب من علماء المشرقيات أو عدت عليه الأيام فلم يبق منه في أيدينا ولا في أيدى غيرنا شيء . وإني لأخشى أن نظل في هذه الغفلة حتى تضيع البقية الضئيلة من هذا التراث فتنقطع صلتنا بمصادر علمنا وتاريخنا ونتاج أدبائنا الذاهبين !

وإنه لما يسيء إلى قوميتنا العلمية أن نبحث عن كتاب مما ألف السابقون من علمائنا فلا نجد منه إلا نسخة فريدة في ليدن أو دير الأسكوريال أو أكسفورد ، أو ألا نجد البتة . وإذا كان القائمون على شؤون الحكومات العربية في هذه السنين ليسوا من الايمان بالعلم بحيث نأمل أن نجد منهم معونة في هذا الشأن فان في استطاعة المثقفين من أبناء الشعوب العربية أن يتعاونوا على عمل ما لسد هذه الخلة . ولعل مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أو المجمع العلمي بدمشق ، أو المجمع الملكي الحديث في بغداد — أن ينتدب أحدها أو جميعها لهذا الغرض ، أو لعل جامعتي فواد الأول وفاروق الأول ...

إن من ألزم الواجبات الراهنة على المثقفين في البلاد العربية أن يوجهوا همتهم فرادى أو متعاونين إلى إنقاذ البقية من تراثنا العلمي الذي يوشك أن يأتي عليه الزمن . وإن في المكتبات الخاصة في العراق وسورية ومصر ، وفي بلاد المغرب العربي بصفة خاصة ، مقداراً غير قليل من المخطوطات العربية النادرة لا يكاد حائزوها يعرفون ما هي ويوشكون بغفلتهم أو باهمالهم أن يفقدوها أو يعرضوها للتلف والضياع . وقد حدثني صديق مغربي منذ قريب عن واحد من مواطنيه كان يملك طائفة من هذه المخطوطات آلت إليه بالميراث ، فخشي أن تئول إلى الفرنسيين لشدة رغبة علمائهم في الحصول على ما تضم من النوادر ، فأحرقها ضنا بها وتنزيها !

من لبنان

المعرفة العدد ٣ : ٤ (ابريل ١٩٤٨)

في هذا العدد يعالج الأستاذ عبد الله العلايلي بعض مسائل النقد ، فيحاول التفريق «بين الأسلوب والتركيب» وتحديد النسبة بينهما ؛ فيرى أن النقدة يخطئون حين يفهمون «الأسلوب» على أنه طبيعة لغوية فيبنون نقدهم على هذه القاعدة الخاطئة ، على حين يبدو التباين واضحا — بفضل تأمل — بين اللغة والأسلوب . ولكي يحقق هذا التباين بينهما يتحدث عن منبع اللغة في النفس ومنبع الأسلوب ؛ فيرى أن منبع اللغة هو الضرورة ، وأن أهم عواملها الباعثة هو الفكر ، «فوجودها وجود الرمز وفيها طبيعة العدد ، وبشكل آخر : التهيج إذا طال أجله ينقلب إلى احتياج ، وهو في هذه الدرجة من الاستحالة منبع اللغة ؛ ولذا غنى الانسان قبل أن لغا ...» أما منبع الأسلوب — فيما يراه — فهو عضوية الحس ، وأهم عواملة الباعثة هو الانفعال ، فوجوده وجود الحقيقة الشعورية وفيه طبيعة الحياة . وعلى ذلك فهو يقرر « أن التهيج في حالة

كونه تهيجاً يشير إلى أسلوب ، أما إذا استحال إلى احتياج فانه يشير إلى لغة ؛ فالانسان حينما غنى كان أسلوبيا ، أى عبر بأسلوب يتفق والا لبغام فأداة التعبير .»

ثم يمضى على هذه القاعدة فى تعداد مابين اللغة والأسلوب من خصائص ترجع إلى طبيعتين مختلفتين ، ثم يجمل القول بأن « اللغة مثل التصوير الشمسى ، بينما الأسلوب مثل الرسوم الفنية الموحية ؛ ففى الأول طبيعة الرمز والعدد ، بينما فى الثانى الطبيعة الحية ؛ ولذا كان فنا جميلا دون الأول ...»

ويخلص من تقريره هذا بتخطئة النقاد حين يأخذون الأسلوب مأخذ التركيب ويبنون على هذا الأساس نظرية الأدب والنقد ، فلا يعتبرون شيئاً من ذلك إلا من حيث الموضوع أو من حيث اللغة دون نظر إلى الأسلوب من حيث هو إرادة تصوير تستلزم صدق التعبير عن الشعور وحقيقة الانفعال .

وخلاصة الرأى — فيما بدا لنا — أن الأستاذ العلايلى يرى أن الأسلوب غير التركيب اللغوى ؛ فهو فى النقد وفى موازين الأدب ، غير اللغة وغير الموضوع ، ولكنه قسيم ثالث يتصل بالانفعال والشعور والارادة التصويرية — لا التعبيرية — وهو بذلك عنصر ذو شأن لابد من اعتباره بعيداً عن الموضوعية واللغوية ، لقياس الحقيقة الأدبية كما هى فى الواقع النفسى .

الأديب العدد ٤ : ٧ (أبريل ١٩٤٨)

يتحدث الأديب فؤاد الونداوى — من بغداد — عن الأدب بين الحرية والالتزام ، فيرى أن الأدب — وهو فن جميل — يجب أن يحاكى الطبيعة كما تبدو بلا تمييز بين ما هو طيب وما هو خبيث. وعلى هذا الأساس ينكر على الأديب أن « يلتزم » قواعد الأخلاق ؛ إذ كان هذا الالتزام فيما يرى يتنافى مع حرية الأدب .

ولكى يؤيد رأيه ذاك فى حرية الأدب دون التزام المقاييس الخلقية ، يقرر أن قواعد الأخلاق أمور نسبية تختلف باختلاف الزمان وتتباين وتتصادم باختلاف الأجناس والمكان ؛ فليس يضير الأديب فى شىء أن يتجرد من الالتزام بهذه القواعد المتباينة التى لايجتمع عليها الرأى ...

ولعل الكاتب على حق فى بعض مايزعم؛ فليست قواعد الأخلاق جميعاً مما اتفق الناس عليه فى كل زمان ومكان ؛ ولكن ثمة قواعد ثابتة جاء بها الدين واتفق عليها الناس وأقرتها الشرائع البشرية ؛ فالتزامها حق وواجب فى الحياة وفى الفن جميعا ؛ وليس يتنافى التزامها مع حق الحرية ؛ فان الطبيعة نفسها — وهى المنبع الأصيل للفن — تلتزم — مع الحرص على الحرية — قواعد ثابتة نستطيع أن نسميها « أخلاق الطبيعة » .

والحرية نفسها لون من الخلق يضيق ويتسع على اختلاف البيئات والأزمنة والناس ؛ وقد تكون الحرية غير المقيدة فى أحوال كثيرة لونا من العبودية للشهوات البشرية ونوازع الأثرة التى تسيطر على النفس ؛ فليس فى الطبيعه إذن ولا فى الحياة حرية مطلقة ، والنهر حين لايمسكه شاطئان ليس نهراً ؛ وصورة من صور الطبيعة يمسكها

إطار اجمل موقعا في النفس من مرآها في الطبيعة ؛ فبعض القيد إذن جمال للحرية ؛ وبعض الالتزام جمال في الأدب الحر !

وقد يزعم بعض النظريين من دارسي الأدب أن الالتزام في أي صورة مفسدة للأدب ، فيقولون : هل يعطل الأديب عمله ليسأل قواعد الأخلاق أولا هل ترضى عنه ؟ فلهؤلاء النظريين ممن لم يعالجوا الأدب الانشائي نقول إن الأدب الحر بضعة من نفس صاحبه ؛ فهو حين ينشئ أدبا لا يسأل ولا يحتاج إلى جواب ؛ إذ كانت نفسه من وراء مادته تملي عليه ما يقول وما يكتب ، ولكل نفس التزامات خلقية واجتماعية تكيف شخصيتها التي تعيش بها في الجماعة ؛ فمن هذه الشخصية بالتزاماتها ينشئ كل أديب أدبه حر الشعور والتصوير والعبارة في حدود شخصيته هذه الملتزمة ، كما يتكلم المتكلم ويملي المملي في حدود شخصيته اللغوية فلا يحتاج في وسط الكلام أو وسط الاملاء أن يتوقف ليسأل قواعد اللغة أيرفع أم ينصب ؛ وإنما يقول ويملي ملتزما قواعد اللغة من غير قصد إلى الالتزام ، إذ صارت قواعد اللغة في لسانه جزءاً من طبيعته فلا يخطئ القول ؛ وكذلك طبيعة الأديب حين ينشئ أدبا فيه صورة نفسه بالتزاماتها الخلقية والاجتماعية ...

إن قضية الحرية والالتزام في الأدب ليست من السهولة بحيث نحاول أن نرسي لها قاعدة ، مادمنا حتى اليوم لم نستطع أن نحدد على وجه قاطع معنى الحرية !